

دور التلفزيون في التنشئة النفسية والاجتماعية للطفل

نورة بن بوزيد
كلية علوم الإعلام والاتصال
جامعة الجزائر3

دور التلفزيون في التنشئة النفسية والاجتماعية للطفل

نورة بن بوزيد

أستاذة محاضرة

كلية علوم الإعلام والاتصال

جامعة الجزائر3

ملخص

تجمع النظريات النفسية والاجتماعية على الأهمية الحاسمة لمرحلة الطفولة باعتبارها الركيزة الأساسية للبناء النفسي في مراحل نموه المتعاقبة. وفي هذا الصدد يبدو دراسة الطفولة في الواقع العربي الإسلامي لم تأخذ حقها ولا مداها بالبحث دون تجاهل وجود دراسات مبعثرة هنا و هناك. ويتجلى هذا الإهمال غياب مؤسسات المتخصصة في دراسة الطفولة، وطبيعي أن يترتب على ذلك تعقد عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمعات سائلة الذكر، وخص بالذكر الجزائر، حيث يتعرض الوسط الطفولي لغزو كثير من الثقافات والتيارات الفكرية والأنماط السلوكية المختلفة. وفي مثل هذا الوضع يجد الطفل نفسه منذ سن مبكرة محاطا بأوضاع متضاربة ومتناقضة على مستوى كل من المدرسة والأسرة والحي ووسائل الإعلام المختلفة في ظل اهتمام الأطفال بالتلفزيون ليكون وسيلة التفاعل المفضلة مع وعيه من حيث إثارتهم وشد انتباههم، نظرا لما للصورة الملونة المتحركة الناطقة من تأثير بالغ. إن تفضيل الطفل للتلفزيون امرأ عاديا لا يدعو إلى القلق، لكن ينبغي الاهتمام بهذا الموضوع إي بنوعية المادة الإعلامية التي تقترحها البرامج التلفزيونية علة مشاهديها ولاسيما منهم الصغار، وما يترتب على ذلك من تأثيرهم بالقيم والأفكار المناهضة لتطلعات مجتمعاتهم عموما والمجتمع العربي خصوصا

كلمات مفتاحية : برامج الأطفال التلفزيونية - التنشئة الاجتماعية -

القيم - نمو الطفل - حاجات الطفل

Résumé :

L'article traite d'un thème important. Les questions que se posent l'opinion publique sur la façon dont la télévision affecte les enfants ont été traditionnellement abordés par la recherche sur les mas médias du point de vue des effets.

La télévision est considérée de par le paradigme cognitif donnant de ses dernières décennies comme une tache de traitement de l'information, comme une activité qui consomme du temps, comme expérience comme événement social.

L'enfance est le moment privilégié de l'enculturation et la socialisation de l'individu est alors considéré comme particulièrement malléable et réceptif.

c'est un moment fondateur dans la construction de personnalité dont l'influence s'exercera sur tout le reste de la vie.

Par ailleurs les Mass médias plus utilisées réalisation des objectifs de l'action, éducation et ceci apparais dans la forme et programme télévisuel destinés aux enfants.

Il nous ai apparu que certains programmes vue d'une manière assidue, habituelle ou constante finissent par induire chez l'enfant des changements au quels nous pouvons attribués une valeur positive ou négative.

Mots clés : La socialisation - programmes télévisuelles pour enfants - Les valeurs - Le développement de l'enfants - les besoins de l'enfant

مقدمة

منذ أن ظهر التلفزيون كوسيلة من وسائل الاتصال الجماهيري، وضعت تنبؤات كثيرة حول احتمالات تأثيره على السلوك الإنساني، بما في ذلك سلوك الأطفال. وكانت أغلب تلك التنبؤات ذاتية واجتهادية مقطوعة الصلة عن التلفزيون كظاهرة اتصالية وعن الطفل كظاهرة نفسية اجتماعية، وعلى هذا كان بعضها مبالغ في التفاؤل والتشاؤم. وحين بدأت بحوث الاتصال في التبلور أمكن الوصول إلى عدد من النتائج التي تعطي حقائق عن تأثيرات التلفزيون الذي اكتسح عالم الطفل وأصبح عامل جذب كبير لهذه الفئة وذلك على حساب فضاءات التنشئة التقليدية، وهو ما خلق ضغطا على الأولياء والمربين، وكأنها معركة غير متكافئة خاصة في مجال القيم المرجو إيصالها والمضامين الثقافية المتأصلة في هوية المجتمع.

إن رعاية الطفل ليست نوعا من التفضل أو فعل الخير أو من قبيل الإحسان، ولا عملا من أعمال التظاهر الاجتماعي، وإنما هي وظيفة اجتماعية تبدأ بالإنجاب ثم الرعاية ثم التحويل إلى عضو عامل في المجتمع.

وفي هذا الإطار تجمع النظريات النفسية والاجتماعية على الأهمية الحاسمة لمرحلة الطفولة باعتبارها الركيزة الأساسية للبناء النفسي في مراحل نموه المتعاقبة. وفي هذا الصدد نلاحظ وجود بعض الدراسات المتعلقة بالطفولة في العالم العربي الإسلامي لكنها مبعثرة هنا وهناك¹. كما يبدو أنها لم تأخذ حقها ولا مداها من حيث جدية الاهتمام وعمق وشمولية التناول.

ويمكن القول أن ذلك يعود لعدة أسباب من بينها الإهمال وغياب المؤسسات المتخصصة في دراسة الطفولة، وهو ما ترتب عنه تعقد عملية التنشئة الاجتماعية في المجتمعات السالفة الذكر، وأخص بالذكر الجزائر، حيث يتعرض الوسط الطفولي لتأثير كثير من الثقافات والتيارات الفكرية والأنماط السلوكية المختلفة. وفي مثل هذا الوضع يجد الطفل نفسه منذ سن مبكرة محاطا بأوضاع متضاربة ومتناقضة على مستوى كل من المدرسة، والأسرة، والحي، ووسائل الإعلام المختلفة، وهو ما يفتح المجال واسعا نحو اهتمام الأطفال بالتلفزيون ليكون وسيلة التفاعل المفضلة لديهم، مع وعيهم من حيث إثارته

وشدّ انتباههم، نظرا لما للصورة الملوّنة المتحركة الناطقة من تأثير بالغفي إدراكهم للواقع.

إن تفضيل الطفل للتلفزيون من حيث المبدأ يعد أمرا عاديا لا يدعو إلى القلق، لكن ينبغي الاهتمام بهذا الموضوع أي بنوعية المادة الإعلامية التي تقترحها البرامج التلفزيونية على مشاهديها و لاسيّما منهم الصغار، وما يترتب على ذلك من تأثيرهم بالقيم والأفكار المناهضة لتطلعات مجتمعاتهم عموما والمجتمع العربي خصوصا.

إنّ مسألة تنشئة الأطفال وإعدادهم تكتسي أهمية خاصة في المجتمعات التي تتناول أسس الحياة الاجتماعية بكل مظاهرها، وذلك لما تتطوي عليه هذه العملية من دور أساسي في تكوين مقوّمات شخصية الطفل، تلك التي تعدّ ركيزة أساسية لشخصية المواطن القادرة على الإبداع والابتكار والتجاوب مع المواقف الجديدة.

وانطلاقا من إطار المنظور الشامل والمتكامل لعملية التنشئة، فإنه يتضح لنا أن التنشئة الاجتماعية لا تقتصر إذن على مجرد اكتساب الطفل الأفكار الاجتماعية والثقافية والسياسية، بل تتعداها إلى المواقف التي تؤثر في السلوك الاجتماعي². ذلك لأن التنشئة الاجتماعية عملية معقدة، يتفاعل الطفل خلالها أثناء نموه مع شروط وجوده الاجتماعي، وتتحدد نتيجة هذا التفاعل في تبلور سمات شخصيته الاجتماعية العامة والفردية الخاصة.

دور برامج الأطفال التلفزيونية في إشباع حاجات النمو لدى الأطفال :

1- أهمية برامج الأطفال وخصائصها

2- أهم حاجات النمو ودور برامج الأطفال في إشباعها

إن حاجات النمو متنوعة ومتغيرة وتختلف باختلاف البيئة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي ينتمي إليها الطفل. ويمكن تعريف الحاجة بأنها حالة تتميز بالشعور بالنقص أو الرغبة في شيء، وتتطلب القيام ببعض المهام لإشباعها³.

وتعبّر الحاجة عن نفسها في عدّة تصنيفات أهمها :

▪ حاجات النمو العقلي

▪ حاجات النمو النفسي والاجتماعي

- الحاجة إلى الانتماء
- الحاجة إلى الاستقلال وتأكيد الذات
- الحاجة إلى التعليم
- الحاجة إلى تعلّم معايير وسلوكيات مقبولة اجتماعيا
- الحاجة إلى الرعاية الوالدية
- والحاجة إلى الاستمتاع بأوقات الفراغ والترفيه وغيرها.

ويعتبر التلفزيون من أكثر الوسائل الإعلامية تلبية لحاجات الأطفال نتيجة تميزه بعدة خصائص، كالتميز الفني بالصورة والصوت، والحركة واللون، والانتشار الواسع، وتنوع المضامين. وقد أصبح التلفزيون مع التطور الحالي في تقنيات إنتاج البرامج وبثها وسيلة تنشئة هامة، اقتطعت واستحوذت على جزء هام من الوظيفة التقليدية للأسرة، رغم أنه يقدم بيئة مصطنعة في معظم الأحيان، لكنها أكثر جاذبية من البيئة الطبيعية، بالإضافة إلى عامل الوقت حيث يقضي الطفل وقتا طويلا أمام هذا الجهاز مما يجعل تأثيره أعمق من بعض مؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى.

وفي هذا السياق ينبه كل من "ساندر كلفرت" و"كاترين سكوت" - Calvert, Sandra L. Scott, M-Lattre-rine إلى ضرورة الأخذ في الاعتبار القدرة العقلية للطفل وفقا لسنّه. فالطفل الأكبر سنّا يستطيع فهم المعلومات الواردة في المضامين التلفزيونية أكثر من الطفل الأصغر سنّا أثناء إعداد المضمون التلفزيوني⁴. ويتمثل دور التلفزيون في إشباع حاجات الطفل فيما يلي :

❖ غرس الانتماء للوطن عند الطفل من خلال ربطه بماضيه وحاضره ومستقبله، وتعريفه بحقوقه وواجباته، والمخاطر التي تتمثل في محاولات الغزو الفكري ودوره في صون ذاتيته الثقافية. ويتم ذلك من خلال تقديم نشرات إخبارية بمستوى لغوي مناسب لهم بالإضافة إلى تقديم نماذج الشخصيات الوطنية في الدراما كقدوة لهم.

❖ تصوير علاقة الطفل بأسرته وأصدقائه ووطنه في قالب درامي لتوصيل مفهوم الانتماء بشكل غير مباشر يؤثر عليه بشكل أكبر.

❖ كما تستطيع برامج التلفزيون تقديم فقرات عن الشخصيات الناجحة في مختلف المجالات مما يخلق لدى الطفل الرغبة والطموح في تقليد تلك النماذج الإيجابية باعتبارها قدوة يحتذى بها.

❖ تساهم برامج توعية الطفل في تأكيد الذات لديه ، من خلال دعوته إلى التبني والالتزام بالسلوك الملائم في المواقف المختلفة ، وتعلم الأدوار المناسبة وإظهار أهمية الاعتماد على الذات وضرورة النجاح فيما يوكل إلى الأطفال من أعمال ومهام.

❖ إشباع الحاجة إلى التعليم من خلال تقديم برامج تعليمية لكل مرحلة ، تتضمن فقرات تعلم المهارات الأساسية.

❖ يساعد التلفزيون بخصوص المعايير والسلوكيات الاجتماعية ، على تعريف الطفل بالقيم الإيجابية مثل الأمانة ، العمل ، الصدق ، وغيرها لتعلمها أو تعديلها أو تجنب السلبي منها.

❖ تتناول برامج التلفزيون المشكلات النفسية لدى الأطفال ، من خلال تقديم برامج تعرّف بالأسس النفسية للرعاية الوالدية لأبنائهما ، كما يمكن اقتراح ألعاب مبتكرة وبسيطة تتلاءم مع كافة المستويات المادية والاجتماعية والعقلية للأطفال لشغل أوقات الفراغ والترفيه كبرامج المسابقات على سبيل المثال.

مراحل النمو وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية والثقافية للطفل :

يعتبر النمو سلسلة من التغيرات التي يمر بها الفرد خلال حياته ، وتسير به نحو اكتمال النضج ، ولا يحدث هذا النمو فجأة ، وإنما يتم تدريجياً.

ويعرف النمو الاجتماعي بأنه تكوين علاقات اجتماعية ناضجة تتطلب أنماطاً مختلفة من السلوك الاجتماعي بما يتلاءم مع الموقف. وتسمى مرحلة الطفولة المتأخرة أو المتوسطة بسن "العصبية" وذلك لانخراط الطفل مع أقرانه في جماعات تصبح معاييرها وآراؤها لدى الطفل أكثر مصداقية من آراء أسرته. وبهذا ينتقدها ويسعى للاستقلال والخروج عن سلطة والديه. وكقاعدة عامة يبدأ الذكور في تكوين جماعة الرفاق أكثر من البنات ، ولا تضم الجماعة أفراداً من الجنس الآخر. وتستمر خلال هذه المرحلة عملية التنشئة الاجتماعية التي يعرفها "موري" Murry -- بأنها العملية التي يتم من خلالها التوفيق بين رغبات الطفل الخاصة واهتمامات ومطالب الآخرين لحل الصراع بينه وبينهم.

ويعيش الفرد طيلة حياته خاضعا لعملية التنشئة الاجتماعية بمراحلها لتحقيق هدفين: وهما تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي، ونقل الثقافة الخاصة بالمجتمع للفرد كي يصبح حارسا لها وينقلها للأجيال القادمة⁵.

ومن الحقائق الأساسية للنمو أن هناك مظاهر رئيسية تميز كل مرحلة نمو، تساهم كلها في عملية تكيف الفرد. كما أن هناك مطالب محددة تميز مراحل النمو المتتابعة فمرحلة الطفولة المتوسطة تتميز بتعلم المهارات الحركية الضرورية لمزاولة الألعاب المختلفة، ويكون الفرد اتجاها نحو نفسيته ككائن حي ينمو ويتعلم كيف يصاحب أقرانه في الحياة، كما يتعلم المهارات الرئيسية كالقراءة والكتابة والحساب، بالإضافة إلى تكوين المفاهيم والمدرجات الخاصة بالحياة اليومية، والقيم، والمعايير السلوكية والاتجاهات النفسية، والاجتماعية.

وبزيادة اكتساب الطفل للغة يزداد فهما لرغبات الآخرين ولأدوارهم بالنسبة لدوره فيبدأ نتيجة لذلك في تصحيح فكرته عن نفسه. كما تساعد اللغة الطفل على التحرر من مركزية الذات، ويبدأ إحساسه بآراء الغير، وفي اكتساب السلوك الاجتماعي الذي يساعده على الاندماج في الجماعة، فتقل أنانيته تدريجيا، كما يقل لعبه الانفرادي، وفي مقابل ذلك تبدأ الاتجاهات الاجتماعية في الظهور لديه في هذه المرحلة، مثل: الزعامة، والميل لمساعدة الآخرين، أو الميل الاستبدادي. وقد يبدي الأطفال في هذه السن روح العنف والعناد، والتمسك بآرائهم في محاولة لفرضها على الكبار. ولكنها في الواقع هي عبارة عن محاولات لاختبار الذات وتأكيداتها وتأكيد الاستقلالية.

ونجد أيضا من بين الملامح الأساسية للنمو الاجتماعي للطفل في هذه المرحلة تشكل مواقف الطفل من الثقافة المحيطة به والمتمثلة في العادات والتقاليد وآداب التعامل في مجال الأسرة. فالطفل يحاول أن يلتزم بها، فشعور الطفل بفرديته وذاتيته يجعله يدرك السمة التي يتصف بها وتُميزه عن الآخرين ولهذا فهو يستطيع أن يقارن بين الأفراد، ليس بناء على صفاتهم الجسمية فحسب ولكن على أساس سماتهم النفسية وصفاتهم الخلقية وعاداتهم السلوكية⁶.

كما تكمن أهمية مرحلة الطفولة في أنها إذا لم ترسخ معايير الصواب والخطأ على أسس سليمة، فإن الطفل يصبح عرضة للخضوع لما يقدمه له الآخرون. لذا تعد الأسرة من أهم مؤسسات التطبيع الاجتماعي، حيث يتأثر نمو

شخصية الطفل بوجود القدوة من الأب والأم ودورهما في تشكيل السلوك. ومن الملامح الأخرى أيضا نمو الشعور بالإنجاز مقابل الشعور بالنقص.

غير أنه في واقع الأمر لا يوجد أحد يستطيع أن يقوم بكل شيء على أحسن وجه، إذ أنه سرعان ما يدرك الأطفال في هذه المرحلة أنه ليس في مقدورهم أن يتقنوا كل مهارة يحاولون اكتسابها. فحتى الطفل الذي يكون له شعور إيجابي أو اتجاه جاد نحو العمل يمكن أن يعاني قدرا من مشاعر النقص بالنسبة لمهارة أو مهارات معينة لم يستطيع أن يتقنها. ويتدخل المجتمع لخلق مشاعر النقص كما يحدث في عملية المفاوضة والمقارنة بين الأطفال بعضهم ببعض. وقد يثير المجتمع أحيانا مشاعر النقص عند الأطفال من خلال توجيه بعض النقد بهدف إثارة الدافعية لإنجازات ما وذلك من خلال رسالة سلبية مفادها : "إنك لو حاولت مرة أخرى لتجنبت الفشل". إن جميع الأطفال لديهم الدافع للتعلم، فجميعهم يرغب في معرفة العالم من حولهم وإن طموح الآباء في مستقبل أبنائهم والوقت الذي يقضونه معهم بإيجابية لهو الأساس الذي يمكن أن يعتمد عليه في مساعدة الطفل على تحقيق الانجاز الفعلي.

إن الدافع للإنجاز قد يظهر أو يختفي من مجال لآخر، وفقا لاستعدادات الطفل وظروفه الخاصة . كذلك قد ينمو الدافع للإنجاز أو يخبو من فترة لأخرى، ذلك أن الجهود التي يبذلها الطفل قد تسفر عن نتائج إيجابية أو سلبية بناء على رؤيته الذاتية للنتيجة، وعلى التقدير والاستحسان الاجتماعي الذي يحصل عليه. فإما أن يؤدي به ذلك إلى تنمية معايير الخاصة بالنجاح ويساعده على أن يرى نفسه شخصا ذا قدرة وتقديرا، وإما أن يتزعزع تقديره لنفسه ويقل لديه تدريجيا الدافع للإنجاز في حالة رؤية المجتمع من حوله غير مكترث بما يفعل. مما يصل به في النهاية إلى تجنب مواقف المنافسة والميل إلى الاعتمادية على الكبار إلى أن ينتهي به الأمر إلى الشعور بالنقص.

ولذلك فإن مساعدة الطفل على حل التناقض الأساسي في حياته في هذه المرحلة بين الدافع للإنجاز من ناحية، وعوامل الشعور بالنقص من ناحية المجتمع، يتطلب حسب الباحثة "سهير أحمد كامل" مجموعة من الأدوار⁷، وهي:

- إيجاد فرص للنجاح أمام كل طفل في المدرسة بناء على قدراته الذاتية وخصائصه المعرفية. ولا بد من مساعدة الأسرة في ذلك.

- اتخاذ موقف إيجابي من التحصيل المدرسي سواء من ناحية الوالدين أو المدرسة وذلك عن طريق المتابعة والتشجيع.
- المساعدة على اتخاذ وجهة نظر الآخرين في تنمية الضمير الخلقى.
- وضع حدود واضحة للسلوك.
- تنمية احترام الذات، لكونه يساعد على زيادة فرص النجاح التي تزيد بدورها من شعور الطفل بذاته.

علاقة البرامج التلفزيونية بالتنشئة الاجتماعية

إن التلفزيون وسيلة سمعية تتغلغل في أعماق المجتمع، فتطرق جوف الأسرة لا بابها، وتدخل و تؤثر بطريقة سيكلوجية اجتماعية فعالة في تطوير التصورات العائلية وترقية الأذواق. وقد طغى فن التلفزة على باقي فنون الإعلام لما له من جاذبية من خلال برامجه المتنوعة والمثوقة. فالتلفزيون يشبع حاجات الطفل والراشد ويتكيف مع قيم ومفاهيم ومظاهر السلوك الاجتماعي، كما يزيد ويعمق من الخبرات التي تنمي المعارف وترتقي بالإدراك العام، ويقرب المسافات فيما بين الحضارات.

لقد توصلت دراسة " محمد عباس إبراهيم"⁸ عن الأثر السريع للتلفزيون إلى نتيجة مفادها أن جهاز التلفزيون قد احتل أهمية أساسية في التربية والتعليم والتثقيف خاصة بالنسبة لبعض الأسر التي تستفيد منه في شؤون الصحة، والوقاية، وبرامج الدروس التعليمية.

كما أكدت أبحاث ميدانية عربية وأجنبية أيضا أن مشاهدة التلفزيون تأتي في طليعة الوسائل التي يلجأ إليها الأطفال و الشباب لقضاء أوقات الفراغ⁹. والتلفزيون بهذا المعنى مؤسسة تربوية تنافس المؤسسات التقليدية (الأسرة والمدرسة) في تحقيق عملية التنشئة الاجتماعية للأطفال، وكذا نوعية الميكانزمات المتحكممة فيها. فالتنشئة الاجتماعية حسب دوركايم هي العملية التي بواسطتها يتعلم الفرد ويتعرف على أعراف مجتمع ما أو جماعة معينة حيث يصبح قادرا على ممارسة أنشطته الاجتماعية داخلها. ولما كانت التنشئة الاجتماعية بهذا المعنى فإن المشاهدة المكثفة لبرامج التلفزيون لدى الأطفال تتبع من رغبتهم في التعرف على الجماعة التي ينتمون إليها ويعيشون داخلها. فالتلفزيون يدفع الأطفال إلى عالم الكبار "المعقد" ويوفر لهم الدافع والحافز لأن

يسألوا عن معاني وأقوال ما كانوا يسمعون عنها أو يقرؤونها لولا التلفزيون. وبالتالي أصبح هذا الجهاز من أخطر الوسائل الإعلامية تأثيراً ، حيث ينافس الأمو الأب في عملية التنشئة على حد قول الباحثة "ذي لوي" : " التلفزة مدرسة موازية"¹⁰ إذ لم يعد الوالد يمثل النموذج بالنسبة للطفل بل أصبح بطل المسلسلات هو المثل والقُدوة.

إن أغلب البرامج التي يتم بثها للطفل العربي عبارة عن رسوم متحركة على اعتبار أنها أقرب إلى الطفل، وهذه الأفلام الكرتونية رغم براءتها الظاهرية إلا أنها تزخر بنقل القيم والنماذج والرموز الغربية.

وفي مقابل ذلك يمكن الاستعانة بالتراث العربي الإسلامي لكونه غني وزاخر بالعبر والنماذج في هذا النطاق، مما يمكن أن يجعل من الطفل العربي نموذجاً حياً على أرض الواقع قلباً وقالباً، علماً وعملاً، حتى يستحسن كل النماذج الطيبة وينطلق منها كأرضية للإبداع والممارسة الفعلية في المجتمع.

إن الرسوم التي يتم إنتاجها وتسويقها إعلامياً للطفل العربي وتمثل وتحمل في طياتها صوراً نمطية للإيديولوجيات المستوردة، حيث يقول "هيرتشيلىر" في كتابه "المتلاعبون بالعقول"¹¹ : إن وسائل التضييل عديدة ومتنوعة إلا أنه من الواضح أن السيطرة على أجهزة المعلومات و الصور يمثل وسيلة أساسية .

ويرى "رالف رزق الله" من جهته أن العقبة الأساسية التي حالت لفترة طويلة دون إدراك المضمون الأيديولوجي لأفلام الأطفال خصوصاً قد تتمثل في الصورة الكونية للطفل. " الطفل كائن غير جدّي" وكل ما يربط به لا يمكن أن يتصف بالجدية ، فهل يمكن الشك ببراءة "ميكي" وبأخلاق السوبرمان ؟¹².

وانطلاقاً من هذا التصور للطفل و لثقافته، اعتقد الكثير من المربين أن أفلام الأطفال لا تهدف إلا إلى التسلية دون أن يشكوا أن هذه الأخيرة لا تتناقض مع نقل المعايير الإيديولوجية والقيم الاجتماعية، بل تشكل وسيلة لها. إذ ثمة عملية تأهيل اجتماعي تجري خلال فترة أوقات الفراغ، حيث يضيف "شيلر" : "الواقع أن الفكرة القائلة أن الترفيه لا ينطوي على أي سمة تعليمية ينبغي أن ينظر إليها بوصفها أكبر الخدع في التاريخ".¹³

ويذهب "إريك باوند" مؤرخ التلفزيون الأمريكي على _في نفس الاتجاه حيث يرى أن : " مفهوم الترفيه في تصوّر هو مفهوم شديد الخطورة ، إذ تتمثل الفكرة الأساسية له في أنه لا يتصل من بعيد أو قريب بالقضايا الجادة للعالم،

إنما مجرد ملئ أو شغل الفراغ. والحقيقة أنه هناك إيديولوجية مضمرة بالفعل في كل أنواع القصص الخيالية، فعنصر الخيال يفوق في الأهمية العنصر الواقعي في تشكيل الآراء"¹⁴.

إن إدراك أبعاد هذه الآثار يتطلب معرفة الكثير عن الطفل لمعرفة الإطار الذي ينطلق منه في اختيار برامجه المفضلة، ومدى تفاعله مع هذه البرامج. ويعتبر الجو العائلي وعلاقات الصداقة أحد العناصر التي تؤثر على سلوك الأطفال وعلى أسلوب استخدام التلفزيون في أوقات مناسبة، وهذا ما ينطبق مع مقولة "لا زر سفيلا" بأن التلفزة يمكن أن تكون بديلا لإشباع حاجات الطفل النفسية عندما لا يحظى بمشاهدة أبية فترة كافية من الوقت¹⁵.

وينطبق أيضا مع مقولة "برنو ينتاهم"، والتي مفادها "أن التلفزيون يجعل الطفل يؤمن بأن هناك أو يجب أن تكون هناك حلول لمشاكله الاجتماعية اليومية". بينما تفكير الأمريكيين مخالف لذلك، بالمقارنة مع الواقع المعيش مما يؤدي إلى عدم الرضا بالنفس والمجتمع¹⁶.

نستنبط من هذه المقولة - التي سببها التلفزيون - أن علاقات التبعية نحو الغرب الناجمة عن البرامج التلفزيونية المستوردة منه تهدف إلى زج الطفل في متناقضات خيالية لا علاقة لها بواقعه الثقافي والاجتماعي. ويمكن أن نتصور دور التلفزيون في عملية التنشئة الاجتماعية عندما نتذكر ما أكدته البحوث من أن الطفل يبدأ في مشاهدة الشاشة الصغيرة منذ أن يبلغ سن الثانية وأنه في ما بين سن الثالثة والثامنة يكون للتلفزيون أكبر الأثر دون منافس من جانب الوسائل الأخرى.

غير أنه مع ذلك ينبغي القول أنه ليس في استطاعة الباحث مهما بلغ إطلاعه أن يصدر ببساطة حكما قاطعا فيما يتعلق بالبرامج التلفزيونية وعلاقتها بالتنشئة الاجتماعية فيقول أنها كلها ضارة، أو صالحة للأطفال. فهناك من البرامج ما يكون له أثر ضار على بعض الأطفال في بعض الظروف، ولكن بالنسبة للأطفال آخرين وفي نفس الظروف السابقة، أو بالنسبة لنفس الأطفال في ظروف مختلفة قد تكون لهذه البرامج نفسها آثار طيبة. كما أن الحديث عن دور التلفزيون في التنشئة الاجتماعية للطفل لا يمكن أن يكون إلا حديثا ذو وجهين : الوجه الذي يمثل الإيجابيات والآخر الذي يمثل السلبيات. فعلى سبيل المثال يمكن القول أن التلفزيون يعتبر من بين الوسائل التعليمية التي تساعد على

تعزيز المناهج الدراسية بالإضافة إلى وظائفه في التثقيف الإخباري، والفكري، والاجتماعي، والعلمي، وفي تربية الطفل وإكسابه المهارات اللغوية من قراءة وكتابة، وإرشاده سلوكيا واجتماعيا وثقافيا من جهة، ولكن يمارس من جهة أخرى تشويشا على عملية التنشئة الاجتماعية ويضيق حركتها.

لقد حصر الطرح في التلفزيون لأنه وسيلة جماهيرية احتلت برامج طليعة الأنشطة والممارسات الاتصالية والثقافية لدى الأطفال.¹⁷ ولأن المضامين الفكرية والمعلوماتية والترفيهية ولأهميتها تعتبر أحد مكونات السياق الاجتماعي المحيط بالفرد والذي ييسر، أو يعيق صدور ضروب من السلوك بشكل يجعله مقبولا اجتماعيا أو غير مقبول.

وعلى العموم يمكن القول أن هناك عدة أساليب نفسية واجتماعية للتلفزيون تساهم بشكل كبير في عملية التنشئة الاجتماعية، كالتكرار، والجاذبية، والدعوة الى المشاركة الفعلية، وعرض نماذج من الشخصيات والأدوار الاجتماعية حتى يحذوا الطفل حذوها.

مما يجعل الطفل يتعلم سلوكيات كثيرة عن طريق ملاحظته للآخرين في التلفزيون ومحاسناتهم في أفعالهم . ويعود الفضل الأكبر في الاهتمام بموضوع التعليم عن طريق المحاكاة الى "باندورا" حيث حدد ثلاث عمليات لتفسير الحدث التعليمي الكامل وهي¹⁸:

أولا: الانتباه : لكي ينتبه الفرد الملاحظ الى حدث ما ينبغي أن يتصف الحدث بالآتي :

-أن يكون بسيطا.

-أن يكون متميزا.

-أن يكون مفيدا.

-أن يتم تقييمه ايجابيا.

ويتحدد الانتباه بناء على :

-قدرات الفرد الإدراكية مثل درجة التركيز.

-مستوى الإثارة.

-الإدراكية.

-تفضيلات الأفراد المكتسبة.

فبالنسبة لمستوى القدرة على الملاحظة، يتبين أنه كلما كان الفرد قوي الملاحظة، كلما كانت قدرة تركيزه وانتباهه أعلى، ومن ثم تزيد قدرته على التعلم. أما على مستوى الإثارة فإن الرسالة الإعلامية تشد الانتباه أكثر من تلك التي إيقاعها رتيب و تخلو من الإثارة.

وأما بالنسبة للحالة الإدراكية للفرد، فإن الطريقة التي يدرك بها الفرد الرسالة الإعلامية تؤثر في مستوى تركيزه وانتباهه. فإذا كان إدراك الفرد للرسالة يتعرض لها على أنها مجرد تمثيل أو مزاح، فإن انتباهه سيكون ضعيفا، أما إذا أدرك الرسالة على أنها دعوى لتقليد العنف أو لمحاكاة السلوك، فإن انتباهه سيكون أكبر وتعلمه منها سيكون أكثر.

وتؤثر في عملية الانتباه أيضا رموز الرسالة المنطوقة للغة والكلمات أو مشاهدة صور وحركات. فإذا كانت الرسالة الإعلامية قد حققت إشباعا من أي نوع سواء كان غريزيا أو نفسيا للإنسان، فمن المتوقع أن ينتبه لها أكثر مما لو كان موقفه السابق منها سلبيا.

ثانيا - عملية الاحتفاظ : وهي العملية الثانية بعد عملية الإنتباه، حيث لا يكفي أن ينتبه المشاهد إلى الرسالة الإعلامية، بل لابد أن يحتفظ بها في ذاكرته حتى يكون قادرا على تعلمها. وطبقا لما قاله "باندورا" فإن الاحتفاظ بالرسالة يتم على شكلين : إما على شكل صورة ذهنية، أو على شكل وصف لغوي.¹⁹

ثالثا: عملية التقليد الحركي : في هذه المرحلة يتم نقل المعلومات الرمزية والعقلية إلى أفعال تطبيقية.

وبناء على ما تقدم فإنه يمكن أن نتصور دور وسائل الإعلام في عملية التنشئة الاجتماعية عندما يتم تذكر ما سبق . كما أكدت البحوث أن الطفل يبدأ في التعرض لوسائل الإعلام وخصوصا التلفزيون منذ أن يبلغ سن الثانية من عمره، وأن التلفزيون لها أكبر الأثر في حياة الطفل فيما بين سن الثالثة والثامنة من عمره دون أدنى منافسة من جانب الوسائل الأخرى.²⁰

ولذلك فإنه أيّا كانت مظاهر الاختلاف أو الاتفاق حول الجدل الذي ما زال قائما بين علماء الاجتماع، والنفس، والجريمة، وكذا المشتغلين في مجال التلفزيون فيما يتعلق بالآثار السلبية لبعض البرامج التلفزيونية كبرامج العنف، فإن ثمة حقيقة لا يمكن إنكارها، وهي أن الشاشة الصغيرة تتمتع بقدرة فائقة على تشجيع السلوك الانحرافي لدى بعض الناشئة .

كما يلعب التلفزيون أيضا دورا مهما في زيادة حدة صراح القيم نتيجة ترويجه لما قد يمثل قيما ومفاهيم تتعارض وتلك السائدة في هذا المجتمع أو ذاك. ويعرض التلفزيون كذلك برامج أو مشاهد تتضمن حوارا يحوي قيما وقواعد سلوك تتعارض مع ما يعلمه الأهل والمدرسة للأطفال، مما يؤدي بهم إلى التناقض النفسي والعقلي والعاطفي والتربوي.

المراجع والاحالات

1. متولي علي متولي، وسائل الإعلام والتنمية المجتمعية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009، ص 21.
2. حسين عبد الجبار، اتجاهات الإعلام الحديث والمعاصر، ط 1، دار أسامة للنشر، عمان، 2008، ص 79.
3. نهي عاطف العبد، أطفالنا والقنوات الفضائية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005، ص 187.
4. نفس المرجع السابق، ص 211.
5. نفس المرجع السابق، ص 187.
6. سهير كامل أحمد، سيكولوجية نمو الطفل - دراسات نظرية وتطبيقات عملية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1998، ص 127.
7. نفس المرجع السابق، ص 129.
8. محمد عباس إبراهيم، التنشئة الاجتماعية في مناطق الهامشية الحضرية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2005، ص 63.
9. عبد السلام فزازي، التلفزة والتنشئة الاجتماعية للطفل، مجلة الطفولة العربية، العدد 20، الكويت، 2009، ص 95.
10. نفس المرجع السابق، ص 96.
11. المكان نفسه.
12. نفس المرجع، ص 96.
13. نفس المرجع السابق، ص 97.
14. نفس المرجع، نفس الصفحة.
15. عبد الفتاح أبو معال، مرجع سبق ذكره، ص 7.
16. علي وطفة، دور الاعلام في التنشئة الاجتماعية، مجلة بناء الأخبار، العدد 4، دمشق، أكتوبر 1992، ص 14.
17. أسامة حسن الساعاتي، فضاءات التنشئة الاجتماعية وثقافة الاستهلاك، مجلة الإذاعات العربية، العدد 1-، 2006، ص 26.
18. محمد عبد الرحمان الضيف، كيف تؤثر وسائل الاعلام، دراسة في النظريات والأساليب، ط 1، العبيكات، الرياض، 1994، ص 79.
19. أسامة عبد الرحيم علي، القيم التربوية في صحافة الأطفال، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004، ص 92.
20. محمد عبد العليل مرسى، الطفل المسلم بيت منافع التلفزيون ومضاره، مكتبة العبيكات، ط 1، الرباط، 1997، ص 106.

قائمة المراجع :

1. أحمد سهير كامل، سيكولوجية نمو الطفل - دراسات نظرية وتطبيقات عملية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 1998.
2. الساعاتي أسامة حسين، فضاءات التنشئة الاجتماعية وثقافة الاستهلاك، مجلة الإذاعات العربية، العدد - 1 - ، 2006.
3. عبد الجبار حسين، اتجاهات الإعلام الحديث والمعاصر، ط 1، دار أسامة للنشر، عمان، 2008.
4. عاطف العبد نهي، أطفالنا والقنوات الفضائية، دار الفكر العربي، القاهرة، 2005.
5. عباس ابراهيم محمد، التنشئة الاجتماعية في مناطق الهامشية الحضرية، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2005.
6. عبد الرحيم علي أسامة، القيم التربوية في صحافة الأطفال، ايتراك للنشر والتوزيع، القاهرة، 2004.
7. فزازي عبد السلام، التلفزة والتنشئة الاجتماعية للطفل، مجلة الطفولة العربية، العدد 20، الكويت، 2009.
8. وطفة علي، دور الاعلام في التنشئة الاجتماعية، مجلة بناء الأخبار، العدد 4، دمشق، أكتوبر 1992.
9. متولي علي متولي، وسائل الإعلام والتنمية المجتمعية، دار الكتاب الحديث، القاهرة، 2009.
10. مرسي محمد عبد العليل، الطفل المسلم بين منافع التلفزيون ومضاره، مكتبة العبيكان، ط 1، الرباط، 1997.